مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد الخامس

1988م.

- المعارف اللازمة للداعية
- المحاولات الإستعمارية لتقويض الإسلام في الجزائر
- منهج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي
- الفكر التربوي بين الأصالة والتغريب
- جامعة الزهراء جامعة علمية يخسرها العالم الإسلامي

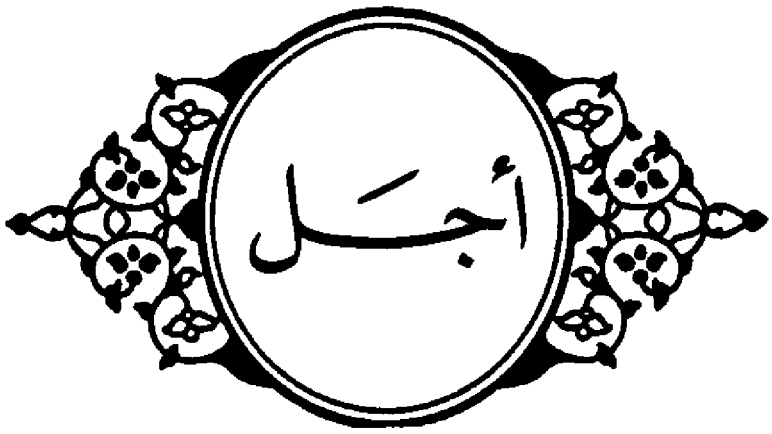

الدكتور. يوسف الثلب

الأجل في اللغة العربية، هو مدة لأمر ما، جاء في المصباح[1] أجل الشيء مدته ووقته الذي يحل فيه وهو مصدر أجل الشيء أجلاً من باب تعب، وأجلته تأجيلاً جعلت له أجلاً.

وفي القاموس المحيط[2] كذلك مد الأجل... غاية الوقت في الموت وحلول الدين ومدة الشيء، جمع آجال والتأجيل تحديد الوقت واستأجلته فأحلني إلى مدة.

مصادر الأجل في الشريعة الإسلامية:

إذا تصفحنا القرآن الكريم، وهو أساس الشريعة الإسلامية نجد أن لفظ الأجل ورد في آيات كثيرة منه غير أننا نلاحظ أن الآجال التي نص القرآن الكريم عليها وكانت موضع بحث في علوم الشريعة منها ما يختص الله سبحانه وتعالى بتحديده كأجل الموت، ومنها ما ترك تحديده لعباده كأجل الديون.

تأمل قوله تعالى ﴿**هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً، وأجل سمى**

(1) المصابح المنير جـ1 ص6.

(2) القاموس المحيط جـ3 ص337.

عنده﴾[3] وقال عز وجل ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾[4] فالمولى سبحانه هو الذي يحدد اللحظة التي يخرج فيها آخر نفس من الإنسان في حياته الدنيا، وفي آية أخرى يقول المولى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾[5] فهنا كان التداين وكان تأجيل الديون خاصاً بالعباد، ومن هذه الآيات وأمثالها نرى أن الآجال في الشريعة الإسلامية تنقسم بحسب مصدرها إلى آجال الله وآجال العباد. وتقسيم الآجال على هذا النمط وإن كان جديداً في الشريعة الإسلامية إلا أنه ليس غريباً عليها لأنه يستخلص من نصوصها ومبادئها، فنحن نجد القرآن الكريم قد ذكر في آيتين منه تعبير ﴿أجل الله﴾ قال تعالى ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾[6] وقال عز وجل ﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾[7] ويمكن أن يستبدل بمفهوم المخالفة من تعبير أجل الله على تعبير أجل العباد، كذلك نجد أن تقسيم الآجال إلى آجال الله وآجال العباد يتشابه مع تقسيم آخر للحقوق وهو أن الحقوق تنقسم إلى قسمين حقوق الله وحقوق العباد. ومن ثم كان تقسيمنا للآجال إلى آجال الله وآجال العباد مستمداً من روح الشريعة الإسلامية.

ضابط التفرقة: من آجال الله وآجال العباد:

آجال الله هي الآجال التي يحددها سبحانه، ولا دخل لإرادة الإنسان فيها، ولا يملك غير الله عز وجل هذا التحديد.

وآجال الله قد تكون لضبط ظواهر السنة الكونية من حيث الزمان كالآجال التي يحددها سبحانه لدورة الليل والنهار وحركة الشمس والقمر، فالزمان الذي تقطعه هذه الظواهر في مدارها أطلق عليه القرآن الكريم تعبير الأجل، قال تعالى ﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾[8] كذلك عمر الإنسان وهو

(3) الآية 3 من سورة الأنعام.
(4) الآية 145 من سورة آل عمران.
(5) الآية 282 سورة البقرة.
(6) الآية 5 من سورة العنكبوت.
(7) الآية 4 من سورة نوح.
(8) الآية 29 من سورة لقمان.

الزمان الذي يعيش فيه في الدنيا أطلق عليه القرآن تعبير الأجل، قال تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[9] وهذه الآجال يتولى الله عز وجل تحديدها ولا دخل لإرادة الإنسان فيها وقد تكون آجال الله لتحديد أسباب بعض الأحكام الشرعية من ذلك تحديده عدة المطلقة والأرملة حيث قال ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾[10] ثم قال ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾[11] وقال عز وجل كذلك ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾[12] ويلتزم المسلمون بهذه الآجال لا يستطيعون الزيادة عليها أو الانقاص منها لأنها من تحديد الله ولا دخل لإرادة الإنسان فيها. أما آجال العباد، فهي الآجال التي يحددها الأفراد بإرادتهم سواء كانت هذه الإرادة في صورة إشفاق بين طرفين أو إرادة الملتزم، أو الملتزم له، فقد يكون اتفاق الطرفين هو مصدر الأجل، فيتفق البائع والمشتري مثلاً على تأجيل أداء ثمن البيع شهراً أو أكثر من وقت العقد. ويصح أن يكون الاتفاق على الأجل في صلب العقد.

وقد تكون إرادة الملتزم له (الدائن) وحدها مصدر الأجل، كما إذا منح الدائن المدين أجلاً للوفاء بالدين الذي له عليه. لأن ذلك من حق الملتزم له، وهو يملك إبراء مدينه مطلقاً من الدين أو بعضه، فيملك تأجيله من باب أولى وقد حثت الشريعة الإسلامية على التأجيل والتيسير على الناس ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾[13].

وقد تكون إرادة الملتزم (المدين) وحدها مصدر الأجل، وذلك كما إذا صدر منه وعد بجائزة مثلاً فيلتزم بإعطاء الجائزة، ويظهر مما سبق أن معيار التفرقة بين

(9) الآية 43 من سورة الزمر.
(10) الآية 228 من سورة البقرة.
(11) الآية 234 سورة البقرة.
(12) الآية 4 من سورة الطلاق.
(13) الآية 280 من سورة البقرة.

آجال الله وآجال العباد هو مصدر هذه الآجال فإن كان الله سبحانه هو الذي يتولى تحديد الأجل كان من آجال الله وإن حدوث هذا الأجل إرادة الإنسان الإنسان كان من آجال العباد.

نتائج التفرقة بين هذه الآجال:

يترتب على هذا التقسيم آثارمنها:

(أ) إن آجال الله سبحانه وتعالى ملزمة، لا يستطيع العباد تغييرها ويقع باطلاً كل أجل يخالف ما حددهُ الله كالتغيير في عدّة المطلقة أو تعديل أوقات الصلاة أو الصوم أو الحج.

(ب) إن آجال الله ثابتة محددة عنده لا تتقدم ولا تتأخر، وإلا اضطرب الكون، فمثلاً لدورة الشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار أجل مسمى عند الله **﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار﴾**[14] كذلك لكل نفس حية أجل لا يتقدم عن ميعاده ولا يتأخر، قال تعالى **﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾**[15] وقال أيضاً **﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾**[16] وقال **﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾**[17].

وعلى خلاف ذلك آجال العباد فهي تقبل التقديم والتأخير، وهي غير ثابتة ومن ثم فهي تسقط قبل ميعاد حلولها إما بالموت أو الإفلاس أو الإعسار أو غير ذلك وللمدين إسقاطها بتعجيل الوفاء قبل حلول الأجل.

المراجع

المصباح المنير، تفسير القرطبي.
القاموس المحيط، تفسير ابن عقبة.
القرآن الكريم، نظرية الالتزام، د. عبد الناصر العطار.

(14) الآية 40 من سورة يس.
(15) الآية 4 من سورة نوح.
(16) الآية 61 من سورة النمل.
(17) الآية 11 من سورة المنافقين.